

## لا السيوطي سيوطي ولا الطحاوي طحاوي

(علماء انتسبوا إلى غير بلدانهم)

بقلم : عبد الآخر حماد

انتساب المرء إلى قبيلته أو بلده أو صنعته أمر معروف مشهور، وقد كانت العرب تنسب إلى قبائلها والعجم تنسب إلى قراها، ثم صار الأمر إلى تعدد النسبة فترى الرجل ينسب إلى قبيلته ثم إلى بلده، فيقال مثلاً: جابر بن زيد الأزدي البصري فهو من الأزدي نسباً، وموطنه البصرة، وقد ينسب المرء إلى مكانين عاش في كل منهما زمناً فيقال مثلاً قبيصة بن ذؤيب الخزاعي المدني ثم الدمشقي، وفي علم مصطلح الحديث ما يعرف بالنسب التي على خلاف ظاهرها، ويقصدون بذلك أن يُنسب الراوي إلى مكان أو وقعة أو قبيلة أو صناعة، ولا يكون الظاهر من ذلك مراداً، بل لعارض عرض من نزوله ذلك المكان أو تلك القبيلة ونحو ذلك.

وفي هذا المقال أعرض لجماعة من أهل العلم انتسبوا لغير بلدانهم، مع إضافة ما يتيسر من الفوائد اللغوية والتاريخية، فأقول وبالله التوفيق:

### 1- السيوطي لم يكن أسيوطياً

النسبة إلى أسيوط أسيوطي أو سيوطي؛ لأن أسيوط يقال لها سيوط أيضاً؛ والإمام السيوطي يذكر في كتابه: (التحدث بنعمة الله) أن الذي تحرر له (( بعد مراجعة كتب اللغة ومعاجم البلدان ومجاميع الحفاظ والأدباء وغيرهم أن في أسيوط خمس لغات: أسيوط بضم الهمزة وفتحها، وسيوط بتثنية السين ))، أي: أسيوط وأسيوط وسيوط وسيوط وسيوط.

وقد كنت أسمع شيخنا الشيخ محمد سويقي - وقد كان رحمه الله من كبار علماء مدينة أسيوط - كنت أسمعه إذا تكلم عن الإمام السيوطي يقول (السيوطي) بفتح السين، وكنت أظن ذلك وهماً منه، فلما رأيت ما ذكره السيوطي من لغات في أسيوط علمت أن الشيخ رحمه الله عليه إنما كان يتكلم عن علم وفهم ومعرفة.

ويقال إن سيوط كان هو اسم أسبوط في العصر الفرعوني وأن هذا الاسم يعني المحروسة أو مكان الحراسة .

والإمام السيوطي هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيرى السيوطى المتوفى بالقاهرة سنة 911هـ ،وقد نسب رحمه الله إلى أسبوط مع أنه لم يكن من أهلها ،بل لم يثبت أنه قد دخلها قط، وإنما الثابت كما في كتابه : (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ) و( التحدث بنعمة الله ) أنه رحمه الله ولد ونشأ وعاش بالقاهرة ،وتحديداً في منطقة جزيرة الروضة ،وله عن تلك المنطقة كتاب بعنوان : (كوكب الروضة ) .

وإنما جاءت نسبه إلى أسبوط لأن أحد أجداده قد بنى بها مدرسة وأوقف عليها أوقافاً ، وبها وُلد والدُه الكمال ،فنسب إليها ،وله في تاريخها رسالة تسمى : (المضبوط في أخبار أسبوط) .

وأما نسبة الخضيرى فىلى محلة بيغداد لعل أحد أجداده كان منها كما ذكره فى حسن المحاضرة .

وقد بقى السيوطى بالقاهرة إلى أن توفاه الله ،حيث دفن بحوش قوصون خارج باب القرافة عندما يسميه العامة الآن بوابة السيدة عائشة كما نقل الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف فى تقديمه لكتاب : (تدريب الروى فى شرح تقريب النواوى )،وعلى ذلك فالضريح الموجود بالمسجد المسمى باسمه فى أسبوط لا صلة له به رحمه الله .

كما أن المحققين على أن الإمام السيوطى لم يعقب نسلاً ،مع أن هناك من ينتسب إليه فى أسبوط ،وهم المعروفون ببيت (الجلالى )،وقد نقل الشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف فى المصدر المشار إليه آنفاً عن تيمور باشا أن أولئك المنسوين إليه إما أنهم من نسل نظار المسجد أو خدمته .

.....

## 2- والطحاوى ليس طحاوياً

طحا قرية من أعمال محافظة المنيا بصعيد مصر ( أظنها تابعة لمركز سمالوط) ينسب إليها الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوى الشافعى ثم الحنفى ،المتوفى سنة 321

هـ، صاحب المتن المعروف باسمه في العقيدة ، وصاحب المختصر في الفقه الحنفي ، وله كذلك شرح مشكل الآثار وشرح معاني الآثار وغير ذلك .

وقد انتسب الإمام أبو جعفر رحمه الله إلى قرية طحا مع أنه لم يكن من أهلها ، وإنما كان كما يذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان (22/4) من قرية قريبة من طحا يقال لها: (طَحْطُوط ) ، فكره أن يقال: طحطوطي فيُظن أنه منسوب إلى الضراط ، فانتسب إلى طحا، والمفهوم من كلام ياقوت أن كلمة طحطوط تعني الضراط ، وإن كنت لم أجد ذلك في ما بين يدي من المعاجم اللغوية.

هذا فيما يتعلق بانتسابه المكاني ، أما انتسابه المذهبي فقد رأينا أنه يقال له الشافعي ثم الحنفي ، وذلك أنه كان في أول أمره شافعيًا يقرأ على خاله المزني وهو من تلاميذ الإمام الشافعي رحمه الله ، لكنه لما بلغ العشرين من عمره ترك المذهب الشافعي وتحول للمذهب الحنفي ، وقد قيل في سبب ذلك إن خاله قال له يوماً : والله لا جاء منك شيء ، فغضب من ذلك وانتقل للمذهب الحنفي ، فلما صنف مختصره في الفقه قال : رحم الله أبا إبراهيم -يقصد المزني- لو كان حياً لكفر عن يمينه كذا في تذكرة الحفاظ للذهبي ( 809/3)، أي أنه بتأليفه لذلك الكتاب قد جاء منه شيء ، وقيل بل كان سبب تحوله أنه كان يرى خاله يديم النظر في كتب أبي حنيفة ذكر ذلك الداودي في طبقات المفسرين (74/1) .

.....

### 3- والمطيعيان ليسا من المطيعة

المطيعة قرية من قرى مركز أسيوط بمحافظة أسيوط ينتسب إليها اثنان من أهل العلم المعاصرين ولكل منهما حكاية :

أما أولهما فهو الشيخ محمد بجيت المطيعي المالكي ثم الحنفي مفتي الديار المصرية السابق المتوفى عام 1354هـ-1935م

وقد ذكر الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد في رسالة له بعنوان التحول المذهبي منشورة ضمن كتابه النظائر أن الشيخ محمد بجيت رحمه الله كان من بلدة تسمى القطيعة فغير اسمها إلى المطيعة وانتسب إليها ، هكذا ذكر الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله في الكتاب المشار

إليه ص: 169 ، إلا أني أحببت التأكد من صحة هذه المعلومة فسألت أحد إخواني في الله وهو الشيخ محمد ياسين -أحد قيادات الجماعة الإسلامية بمصر، وهو مطيعي الأصل - وقد كانت المفاجأة أن أخبرني بأن الشيخ محمد بجيت لم يكن أصلاً من المطيعة، وإنما كان من قرية أخرى تسمى العُرب، وهي قرية مقابلة لقرية المطيعة على الجانب الشرقي من النيل تتبع الآن مركز ساحل سليم، لكنه أكد لي أن المطيعة كانت بالفعل تسمى القطيعة، وأن الشيخ محمد بجيت هو الذي غير اسمها وانتسب إليها، رغم أنها ليست بلدته الأصلية، وقد ذكر لي أن مصدر تلك المعلومات هو ابن عم له (أي للأخ محمد ياسين) وهو في نفس الوقت حفيد الشيخ محمد بجيت [ابن بنته]، ولا شك أن معلومة أن الشيخ كان من العُرب وليس من المطيعة هي المعلومة الأخرى بالقبول لكونها صادرةً عن أهل الشيخ وأحفاده فهم بالقطع أدري بتاريخ جدتهم .

والظاهر أنه كره اسم القطيعة لما فيه من معنى القطع والبعد والمجر فغير اسمها جرياً على سنة النبي صلى الله عليه وسلم في تغيير الأسماء القبيحة، لكن لم يتضح لنا السبب في تركه الانتساب إلى بلدته الأصلية وانتسابه إلى المطيعة، إلا أن المعروف أنه كانت هناك علاقات قوية بين القريتين المتقابلتين ومنها ما رأيناه من تزويج الشيخ لبعض بناته ببلدة المطيعة فكأنه اعتبر المطيعة أيضاً بلدته فانتسب إليها .

والشيخ محمد بجيت كان مالكيًا ثم تحول إلى المذهب الحنفي، فهو في ذلك يشبه الإمام الطحاوي في تحوله من المذهب الشافعي إلى المذهب الحنفي، وبينهما وجه شبه آخر وهو أن كلاً منهما لم ينتسب إلى بلدته، لكن الإمام الطحاوي لم يستطع تغيير اسم قريته فانتسب إلى غيرها، أما الشيخ محمد بجيت فقد استطاع كما رأينا تغيير اسم القرية المقابلة لقريته وانتسب إليها، ويبدو أنه كان ذا منزلة عند أولي الأمر مكنته من ذلك، أو أنه فعل بعد ذلك بعد تبوئه منصب مفتي الديار .

وها هنا لفظة طريفة وهي أني ما قابلت أحداً من أهل المطيعة وسألته عن بلدته إلا قال إنه من (المطيعة) بفتح الميم وليس بضمها، وهم يقولون عن أنفسهم إنهم (مطيعة) بفتح الميم أيضاً، فقلت: لعل ذلك من أثر التسمية القديمة، فإنهم لما غير اسم بلدتهم ظلوا محتفظين

بالوزن الذي كانت عليه كلمة قَطِيعَة وهو فَعِيلَة ، فلذا صاروا يقولون عنها مَطِيعَة وليس مُطِيعَة ، هكذا أظن والله أعلم .

أما العالم الثاني الذي ينسب إلى المطيعة فهو الشيخ محمد نجيب المطيعي الفقيه المحدث المتوفى بالمدينة النبوية سنة 1406هـ - 1985م ، وهو صاحب تكملة المجموع شرح المذهب ، وهو الشرح الذي بدأه الإمام النووي فتوفي قبل أن يتمه ، فشرع في تكملة السبكي رحمه الله ، فمات دون أن يتمه أيضاً ، فأكمله الشيخ المطيعي رحمه الله .

وكما أن المطيعي الكبير لم يكن أصلاً من أهل المطيعة فإن المطيعي الصغير لم يكن أيضاً من المطيعة ، وإنما هو من قرية (الطوابية ) ، وهي من قرى أسيوط أيضاً ، كانت تابعة فيما مضى لمركز أبنوب ، وهي الآن تابعة لمركز الفتح .

وقد جاءت نسبة الشيخ محمد نجيب المطيعي إلى الطوابية في معجم البابطين للشعراء العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وذلك نقلاً عن حوار أجراه أحد الباحثين مع ابن الشيخ المطيعي رحمه الله ، كما ذكر ذلك أيضاً الأستاذ عباس السيسي في كتابه (حكايات عن الإخوان ) .

أما السبب الذي جعل الشيخ ينتسب إلى المطيعة وليس إلى الطوابية فلم أتمكن من معرفته حتى الآن ، وإن كنت سمعت من بعض الناس أن هذا الاسم بكامله - أي : محمد نجيب المطيعي - ليس الاسم الحقيقي للشيخ ، وأن اسمه الحقيقي هو محمود إبراهيم ، وأنه كان مطلوباً لدى السلطات المصرية لنشاطه الدعوي فقام بالحصول على جواز سفر مزور باسم محمد نجيب المطيعي ، فعرف بهذا الاسم واشتهر ونُسي اسمه الأول ، هكذا سمعت لكني لم أستطع التأكد من ذلك من مصدر موثوق به فالله أعلم .

تنبية : وقفت بعد كتابة ما سبق على مقال لبعض تلاميذ الشيخ محمد بوخبزة - وهو من علماء المغرب المعاصرين - بعنوان مئة فائدة من فوائد الشيخ محمد بوخبزة ، وهو منشور على الموقع الرسمي للشيخ بوخبزة ، وفي هذا المقال ينقل الطالب عن شيخه أن (المطيعة) كانت تسمى (العاصية) قبل تسميتها بالمطيعة ، وهذا ليس بصحيح بل الصحيح ما ذكرناه نقلاً عن آل الشيخ من أنها كانت تسمى القطيعة .

كما جاء في المقال المشار إليه أيضاً أن الشيخ محمد نجيب المطيعي كان نصرانياً فأسلم، ولا أعلم من أين جاء الشيخ الفاضل بهذا الكلام، فإن الثابت من حياة الشيخ محمد نجيب المطيعي رحمه الله كما جاء في موسوعة البابطين نقلاً عن ابنه أنه حفظ القرآن الكريم وهو صغير على يد والده، وأن والده انتقل به إلى مسجد أولاد إبراهيم باشا بالإسكندرية، فبدأ في تعلم العلوم الشرعية واللغوية، كما أني سمعت من أحد مشايخنا وهو الشيخ محمد سويفي أنه سمع الشيخ نجيب المطيعي يقول إنه كان يقرأ في فتح الباري وهو في سن التاسعة، فكيف يستقيم مع ذلك أن يقال إنه لم يكن مسلماً؟

كما جاء في المقال المنقول عن الشيخ أبي خبزة أيضاً أن الشيخ محمد نجيب المطيعي كان يعمل محامياً، وهذا أيضاً ليس بصحيح، بل الثابت مما ذكره الأستاذ عباس السيسي في كتابه السالف الإشارة إليه وكذلك مما جاء في معجم البابطين أن الشيخ محمد نجيب المطيعي لم يدخل مدرسة ولا معهداً أزهرياً قط، وأنه حصل علمه من المشايخ والكتب، فكيف يُسمح له بالعمل بالمحاماة وهو لا يحمل شهادة لا في الشريعة ولا في القانون؟ والصحيح أنه رحمه الله قد تنقل في كثير من الأعمال فعمل في أول أمره مدرساً في مسجد العمري بالإسكندرية، ثم صحافياً ومراجعاً لغوياً في جريدة (وادي النيل)، ثم انتقل إلى القاهرة، فافتتح مكتبة المطيعي بميدان العباسية، ثم سافر إلى السودان، فعمل رئيساً لقسم السنّة وعلوم الحديث بجامعة أم درمان الإسلامية، ثم عمل بالمملكة العربية السعودية عميداً لمعهد أبي بكر الصديق للدعوة الإسلامية، حتى وفاته، ومصدري في ذلك هو ما جاء في معجم البابطين نقلاً عن حوار أجراه الباحث محمود خليل مع ابن الشيخ المطيعي رحمه الله، لذا لزم التنبيه على عدم صحة ما نقل عن الشيخ أبي خبزة حفظه الله، والله الموفق وهو الهادي إلى سواء السبيل .

عبد الآخر حماد

—1430/7/11هـ—